

القدرة المطلقة وإحياء الموتى

<?xml encoding="UTF-8?">

جواب الشبهة الأولى : القدرة المطلقة وإحياء الموتى إنّ تخيل استحالة المعاد ، الناشئ من توهم أنّ إحياء الموتى خارج عن إطار القدرة ، جهل بالله سبحانه ، وجهل بصفاته القدسية ؛ فإنّ قدرته عامة تتعلق بكل أمر ممكن بالذات ، ومن هنا نجد القرآن الكريم يندد بقصور المشركين وجهلهم في مجال المعرفة ، ويقول : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } (1). ومعنى عدم التقدير هنا ، عدم تعرفهم على الله سبحانه حقّ التعرف ، ولذلك يعقبه بقوله : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ } ، معرباً عن أنّ إنكار المعاد ينشأ من هذا الباب.

و في آيات أخرى تصريحات بعموم قدرته ، كقوله : { أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (2).

و قوله تعالى : { إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (3).

والآيات الواردة في هذا المجال كثيرة (4).

ثمّ إنّ القرآن يسلك طريقاً ثانياً في تقرير إمكان المعاد ، وذلك عبر الإتيان بأمور محسوسة أقرب إلى الإذعان والإيمان:

(1) - سورة الزمر : الآية 67.

(2) - سورة البقرة : الآية 148.

(3) - سورة هود : الآية 4.

(4) - لاحظ النحل : الآية 77 ، العنكبوت : الآية 20 ، الروم : الآية 50 ، فصلت : الآية 39 ،

الشورى : الآية 9 و 29 ، الأحقاف : الآية 23 ، الحديد : الآية 2.

أ - القادر على خلق السموات ، قادر على إحياء الموتى

يقول سبحانه : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } (1).

وكيفية الاستدلال بها واضحة ؛ فإنّ القادر على إبداع هذا النظم البديع ، أقدر على إحياء الإنسان.

ب - القادر على المبتدأ قادر على المعاد إنّ من الضوابط العقلية المحكمة أنّ أدلّ دليل على إمكان الشيء وقوعه ،

وأنّ حكم الأمثال فيما يجوز ولا يجوز واحد ، فلو كانت الإعادة أمراً محالاً ، لكان ابتداء الخلقة مثله ؛ لأنّهما

يشتركان في كونهما إيجاداً للإنسان ، وعلى ذلك قوله سبحانه : { وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا

جَدِيدًا *...فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } (2).

وقوله سبحانه : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى *

فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } (3).

ج - القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الإنسان بعد موته ويُري الذكر الحكيم في آياته إعادة الحياة إلى التراب بشكل ملموس ، وذلك بصورتين :
أولهما : أنه إذا امتنع عود الحياة إلى التراب ، فكيف صار التراب إنساناً في

-
- (1) - سورة الأحقاف : الآية: 33. ومثلها يس : الآية 81.
(2) - سورة الإسراء : الآيات 49 - 51.
(3) - سورة القيامة : الآيات: 36 40، وقد ورد في هذا المجال آيات أخر، فلاحظ يس : الآية 79،
سورة الطارق : الآية 5 - 8 .
-

بدء الخلقة ، وفي ذلك يقول سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ... } (1).
ويقول: { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } (2).
و ثانيتهما: إنّ الأرض الميتة تحيا كل سنة بنزول الماء عليها فتتهتز وتربو بعد جفافها ، وتنبت من كل زوج بهيج ،
يقول سبحانه : { وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبَتَتْ مِّن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ } (3).
و يقول سبحانه : { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِّن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (4).
فليس إحياء الإنسان من التراب إلّا كإحياء التراب الميت ، باخضرار نباته ، وازهار أشجاره.
وبهذه النماذج المحسوسة يثبت القرآن عموم قدرته تعالى ، مضافاً إلى البراهين العقلية على عموم قدرته تعالى شأنه.

-
- (1) - سورة الحج : الآية 5.
(2) - سورة طه : الآية 55.
(3) - سورة الحج : الآيات 5 - 7.
(4) - سورة الأعراف : الآية 57. ولاحظ الزخرف : الآية 11، الروم : الآية 19، سورة فاطر :
الآية 9، سورة ق : 9 - 11.